الخوف من المستقبل

إعداد

د. عبد العزيز بن رئيس الرئيس

المشرف العام على شبكة الإسلام العتيق

الخوف من المستقبل

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٤ م

ح الريس، عبد العزيز ريس بجاد

الخوف من المستقبل /عبد العزيز بن ريس الريس

الرياض، ١٤٤٥هـ

٥٦ص، المقاس ١٤/٢٠سم

رقم الفسح: ٥٩٧٦٣٦٢٠٢٢٠٨٢٨

الخوف من المستقبل

إعداد

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف العام على شبكة الإسلام العتيق

فهرس

مقدمة المؤلف ٧

مقدمات ٩

المقدمة الأولىٰ: الحرص علىٰ ما ينفع المسلم في دينه ودنياه ٩

المقدمة الثانية: فعل الأسباب مطلب شرعي ١٠

المقدمة الثالثة: استحضار أن الله خلقنا لعبادته في كل وقت..... ١٢

المقدمة الرابعة: مما يُميز المسلم أنه رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ١٤

المقدمة الخامسة: حسن الظن بالله ٢٠

المقدمة السادسة: حرص الشيطان علىٰ حزن المؤمن ٢٢

الموقف من تغيُّر الأحوال بنقص الأموال..... ٢٨

لا يحصل شيء إلا بقضاء الله وقدره..... ٢٨

النظر للمصائب بعين العقل ٣٢

من رحمة الله بعباده: أن قسّمهم ما بين غني وفقير..... ٣٣

موقف المسلم تجاه المال..... ٣٥

المال لا يُذم لذاته ٣٥
كان كثير من الأنبياء أغنياء..... ٣٦
فتنة المال للقلب..... ٤٠
الشريعة تدعو للتقلل من الدنيا ٤١
أيهما أفضل السعي لتحصيل الكفاية؟ أو السعي لتحصيل ما يزيد لإنفاقه في سبيل الله؟ ٤٢
من أسباب عدم التعلق بالدنيا والمال التعلق المذموم..... ٤٤
الأمر الأول: التوحيد..... ٤٤
الأمر الثاني: الدعاء..... ٤٤
الأمر الثالث: مجالسة أهل الخير ٤٥
الأمر الرابع: أخذ العبرة مما مضىٰ..... ٤٧
الأمر الخامس: تذكر حقيقة لذة الدنيا ٤٨
الأمر السادس: تصغير العين..... ٥٠
الأمر السابع: الزهد عما في أيدي الناس..... ٥١
الأمر الثامن: كثرة ذكر الله وقراءة القرآن ٥٣
الأمر التاسع: تذكر الموت ٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فهذه هي الطبعة الثانية لرسالة (**الخوف من المستقبل**) مجملة ببعض الزيادات والتوثيقات، وإن الحاجة لهذه الموضوعات ماسة لا سيما في هذا الزمن التي هجمت فيه الهموم والغموم فأصبحت القلوب هلعة وعلىٰ الدنيا جزعة إلا من رحم الله، وفي هذه الرسالة بيان لموقف المسلم من المستقبل الذي يخوف به الشيطان عباد الرحمن من فقر، أو مرض، أو عدم صلاح أولاد، أو فشل حياته، أو حياة أولاده إلخ... وفي هذه الرسالة بيان موقف المسلم بصفة عامة وطالب العلم بصفة خاصة من المال بلا إفراط ولا تفريط، إلىٰ غير ذلك مما يحسن تذاكره وتذكره ما بين حين وآخر لقطع الطريق علىٰ الشيطان، ولئلا تنزلق الأقدام في فتن الدنيا المتنوعة بحجة تأمين المستقبل وغير ذلك.

اللهم اهدنا وسددنا، وللحق بصرنا، وعلىٰ الصراط ثبتنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف علىٰ موقع الإسلام العتيق

http://islamancient.com

١٠ / ١١ / ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن كثيرًا من المسلمين يُرددون الخوف من المستقبل، وأصابهم من ذلك الغم والوهم والهلع، حتىٰ إن بعض الآباء يُربّي أولاده علىٰ هذا، ويُعظِّم شأن المستقبل والخوف منه في قلب ولده حتىٰ يأخذ من قلبه شعبًا، فأصبحت ثقافة عامة عند المسلمين فدخل عليهم الشيطان من هذا الباب فأوهنهم وأضعفهم مما تبعه الضعف والفتور في طاعة الله، وعلّقهم بالأموال وجمعها وبالدنيا وتتبعها –سواء بحل أو حرمة–وبالأماني وسرابها، وكل ذلك لأجل تأمين المستقبل وأمثال ذلك، والذي ينبغي أن يكون المسلم وسطًا في هذا الباب، بلا إفراط ولا تفريط.

وفي استهلال هذا الموضوع أُقدِّم بمقدمات:

المقدمة الأولى: حرص الإنسان علىٰ ما ينفعه في أمر دينه ودنياه مطلبٌ، فإن العاقل بمقتضىٰ عقله يجتهد في كل ما هو نافع له روىٰ الإمام مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال:

«**احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**»[(١)].

فقوله: «**احرص علىٰ ما ينفعك**» (ما) هنا موصولة، فهي عامة فيما ينفع من أمور الدنيا والدين، فينبغي علىٰ المسلم أن يجتهد في تحصيل ما ينفعه في دينه ودنياه، وألا يكون ضعيفَ دينٍ ورقيقَ تديُّنٍ فيُهمل دينه، ولا يكون بطَّالًا كسولًا فيترك ما ينفعه في دنياه.

المقدمة الثانية: فعلُ الأسباب مطلبٌ شرعيٌّ، ومقتضىٰ قول النبي ﷺ: «**احرص علىٰ ما ينفعك واستعن بالله**» أن يُسعىٰ في فعل الأسباب، وقد دلَّ الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة علىٰ فعل الأسباب، فإن أهل السنة وسط بين طائفتين ضلّت في هذا الباب:

الطائفة الأولىٰ: الجبرية، وقد جعلت العبد مجبورًا لا إرادة له.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٦٤).

الطائفة الثانية المقابلة لهم: القدرية، وقد جعلت العبد مستقلًا عن الله في فعل الأسباب، يخلق فعل نفسه.

وأهل السنة يجمعون بين الاجتهاد في فعل الأسباب وأن للعبد قدرةً مع التعلُّق بالله سبحانه، وأن الأمر كله بيده سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

والواجب الجمع بين الاعتماد علىٰ الله وفعل الأسباب، ومما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أن الاعتماد علىٰ الأسباب نقص في التوحيد، وأن ترك الأسباب قدحٌ في العقول[1]،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في [مجموع الفتاوىٰ (١ / ١٣٠)]: **"فالالتفات إلىٰ الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع"**.
وقال ابن القيم في [طريق الهجرتين (١ / ٢٥٩)]: **"فمنع الأسباب أن تكون أَسبابًا قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد والتوكل، والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلىٰ مسببها** =

وقد جمعَ النبي ﷺ بينهما، فقد دخلَ المعركة والغزوة وهو لابسٌ للمِغْفَر[١]، وكان كثيرَ الدعاءِ بالنصر، فجمَعَ بين الأمرين.

ومما يُخطئ فيه كثيرون أنهم إما يغلون في فعل الأسباب أو يُفرّطون في فعلها، وما أكثر الذين فرّطوا في فعل الأسباب تحجُّجًا بأنَّ هذا هو مقتضىٰ التعبُّد وهذا خطأ، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك: ١٥].

المقدمة الثالثة: لنستحضر في كل وقت أننا خُلقنا لعبادة الله، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة مرتبةٌ عظيمة ودرجةٌ عالية، لذا وصف الله نبيه محمدًا ﷺ بالعبودية في أعظم المقامات وهو مقام الإسراء والمعراج، قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] ولنحرص علىٰ جعل أفعالنا عبودية

=

وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال".

(١) صحيح البخاري (٣٠٤٤) (٤٢٨٦) (٥٨٠٨)، صحيح مسلم (١٣٥٧).

لله، فإن ما نفعله أقسام:

قسمٌ عبادةٌ في ذاته، كصلاة الفريضة أو النافلة، وغير ذلك من العبادات.

وقسمٌ مباح، وهذا المباح ينبغي أن نجعله وسيلة معينة علىٰ طاعة الله، كما روىٰ البخاري عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "... **أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**"(١).

وروىٰ البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتىٰ ما تجعل في فم امرأتك**»(٢).

وقال زبيد اليامي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**يا بني انوِ في كل شيء تريده الخير، حتىٰ في خروجك إلىٰ الكناسة في حاجة**"(٣)، وقال الإمام

(١) البخاري (٤٣٤٢).

(٢) البخاري (١٢٩٥) (٢٧٤٢) (٤٤٠٩) (٥٣٥٤) (٦٣٧٣) (٦٧٣٣)، مسلم (١٦٢٨).

(٣) جامع العلوم والحكم (١ / ٧٠).

أحمد: "يا بني انو الخير فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير"[١].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الفرقان) أن المُقرَّبين أرفع درجة من أصحاب اليمين، وأن المقربين تعبّدوا بأحوالهم كلها، فحالهم ما بين عبادة يُتعبّد بها كالصيام والصلاة سواء كان واجبًا أو مستحبًا، وما بين مباحات يستعينون بها علىٰ طاعة الله، ويلي هؤلاء أصحاب اليمين، وهم نقصوا عن الأولين بأنهم لم يستعملوا المباحات في طاعة الله[٢].

فلنستحضر أننا للعبادة مخلوقون، وغدًا بين يدي الله موقوفون، وعن أعمالنا مسؤولون، وأعمالنا سببٌ من أسباب نجاتنا كما قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف: ١٤] فلنحاول أن نجعل كل ما نفعله عبادة نتقرَّب بها إلىٰ الله، فاللهَ اللهَ أن نجتهد في ذلك غاية الاجتهاد.

المقدمة الرابعة: إنَّ مما يميز المسلم أنه قد آمن بالله ربًا، وبالإسلام

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٠٤).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ٣٤).

دينًا، وبمحمدٍ ﷺ رسولًا، وأنه قد سلّم الأمور كلها لله، ومن ذلك الإيمان بقضاء الله وقدره، وأن الأمور قد قُدِّرت وقُضيت.

روىٰ الإمام مسلم في حديث جبريل الطويل عن ابن عمر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه أن جبريل -عليه السلام- سألَ النبي ﷺ وقال: «**فأخبرني عن الإيمان؟**» فقال: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[١].

فيجب علينا أن نؤمن بقضاء الله وقدره وأن نعلم أن الأمور قد قُضيت والأرزاق قد قسمت والآجال قد حسمت، وكتب الله كل شيء روىٰ الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»[٢].

والإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لله والرضا به هو من أعظم ما يُدخل الأنس علىٰ قلب المؤمن، فكلما سلّم لقضاء الله

(١) صحيح مسلم (١).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٥٣).

وقدره أكثر، كان ذا أُنسٍ وفرحٍ وانشراحِ صدرٍ أعظم، لذلك الإيمان به بلسمُ الحياةِ.

روىٰ مسلم عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له**»[١].

روىٰ البيهقي[٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: "**والله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحُزن في الشك والسخط**".

وفي كتاب (الحوادث والبدع) لأبي بكر الطرطوشي قال: "**وقد قيل: إنه ليس في كتاب الله تعالىٰ أسلىٰ من هذه الآية**"[٣] وهي قوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا

(١) صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٥).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، برقم: (٢٠٥).

(٣) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص ١٧٢).

فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]

فإذا علمنا أن الأمور قد قُدرت وفي الصحف قد سطرت، وأنها من عليم حكيم، رحمن رحيم، أرحم بنا من أمهاتنا وآبائنا، فلنرض بالله ربًّا وبقدره وقضائه حكمةً ورحمةً، روىٰ البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قدم علىٰ رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي، تبتغي، إذا وجدت صبيًا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟**» قلنا: لا، والله وهي تقدر علىٰ ألا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «**لله أرحم بعباده من هذه بولدها**»[1].

الله أكبر! تأمل رحمةَ اللهِ، وكيف أنه أرحمُ بِنَا من أمٍّ فقدَتْ صبيها في غزوٍ واشتدّت بها الظنون بأن صبيها قد مات، ثم إذا بها فجأة تجد هذا الصبي، فترفعه وتُلقمه ثديها، ثم مع هذا كله اللهُ

(١) البخاري (٥٩٩٩) مسلم (٢٧٥٤).

سبحانه أرحم بنا من هذه المرأة، فمن رحمته أنه يقدر لكل أحد ما يناسبه علمه مَن علمه وجهله مَن جهله، قال ابن القيم :" **ويسلم للقاسم المعطي بحكمته وعدله، فإن من عباده من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغناه لأفسده ذلك، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنىٰ ولو أفقره لأفسده ذلك، ومنهم من لا يصلحه إلا المرض ولو أصحه لأفسده ذلك، ومنهم من لا يصلحه إلا الصحة ولو أمرضه لأفسده ذلك**"[(١)].

ومما يدل علىٰ عِظم رحمة الله أنه جعل أوائل سورة الفاتحة في الرحمة فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ١-٢] بل جعل ابتداء كل سورة بقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إلىٰ غير ذلك، فإذا كان ربنا كذلك، فلِمَ الجزعُ والخوفُ مما قضاهُ اللهُ وقدَّره؟ لابد أن تكون قلوبنا راضيةً، ونفوسنا سالية، قد سلَّمتْ أمرها كلَّهُ لله، قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤٨).

فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

فلنتَّقِ اللهَ، ولنُقبل علىٰ ربنا الرحمن الرحيم، ولنَرْضَ بقضائه وقدره، ولتنشرح صدورنا رضًا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا، فإذا كنا كذلك لم نَخْشَ ولم نَخَف المستقبل، لأن المستقبل من حكيم عليم رحمن رحيم -سبحانه وتعالىٰ- فإذا كنا كذلك كنا أهل سعادة فلا تهجم علينا الغموم ولا الهموم ولا نجعل للشيطان علينا مدخلًا، وتأكدوا أن الشيطان يسعىٰ كل السعي لتخويف بني آدم وإشغاله عن عبادة الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧٥﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فاتقوا الله واستشعروا رحمة الرحمن الرحيم، العليم الحكيم، واستشعروا فضله علينا، ومما يزيد ذلك: أن تُقلب البصر فيما مضىٰ من أحوالك، كم نزلت بك من مصيبة ففرَّجها الله، وكم ظننت بحالٍ سوءً فقلبهُ اللهُ من نقمةٍ إلىٰ نعمة، ومن ضيقٍ إلىٰ سعة، فلنتَّقِ اللهَ ونُعظِّم التوحيد في قلوبنا، ولا نَكُنْ

كأهلِ الدنيا من الكافرين أو من بعضِ المسلمين الذين تعلَّقوا بها، فكانوا أهلَ جزعٍ وهمٍّ وحزنٍ، وأحاطَ بهم الخوفُ من المستقبل من كل جانب فأضعفهم وعلىٰ أرض الهموم أسقطهم.

المقدمة الخامسة: يجب أن نُحسن الظن بربنا الرحمن الرحيم الحكيم العليم، ذي المن والفضل، وألا نُسيء الظن به في أقداره وما قسمه من صحة ومال وغير ذلك قال سبحانه: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤].

وقال: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

فالكافرون يظنون بالله ظن السوء، والمسلمون يتفاوتون في هذا، فما أكثر المسلمين الذين ظنوا بالله ظن السوء، فإذا قيل لمسلم: اتق الله واترك ما حرم الله، فإن من ترك ما حرم الله عوَّضه خيرًا منه... تر بعض المسلمين يُسيء الظن بربه ويقول:

كيف يُعوضني خيرًا من هذا؟ فيبقىٰ علىٰ هذا المحرم!، ولو أحسن الظن بربه لعوَّضه الله خيرًا منه، وهذا مثلٌ من الأمثلة الكثيرة، فكبِّر هذا المثل وصغّره في حياتك كلها.

وما أكثر الذين يُسيئون الظن بربهم ويقولون: لو أطعنا الله في كذا قد يحصل لنا كذا وكذا ... أو يأتيه من يأتيه من العوام -وقد يكون بعضهم ناصحًا لكن لا يُحسن النصح- فيقول له: لو فعلت كذا -مما هو طاعة وتقوىٰ لله- فإنه يحصل لك كذا وكذا، فيُسيئون الظن بالله سبحانه!

فيجب أن نُحسن الظن بربنا وأن نُعلق الأمور به، فلا أرحم ولا أعلم ولا أحكم منه سبحانه، فأحسن الظن بربك ولا تسئ الظن به، ومقتضىٰ هذا: أن نجتهد في التمسك بدين الله وأن نقوم به في أنفسنا وأن ندعو الناس إليه، وألا نترك دين الله لهذه الأوهام والظنون ولسوء الظن بالله سبحانه وتعالىٰ، ثبت عند أحمد وابن ماجه[1] عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من **كانت الدنيا**

---

(١) مسند أحمد (٣٥/ ٤٦٧) سنن ماجه رقم (٤١٠٥).

همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

قال ابن القيم: " إذا أصبح العبد وأمسىٰ وليس همه إلا الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسىٰ والدنيا همه، حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلىٰ نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم "[1].

المقدمة السادسة: إنه لما كان شغلُ إبليس وهدفُه إضلالَ بني آدم قال الله عنه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] صار يصرف الخلق عن طاعة الله بكل ما يستطيع ومن ذلك الحزن قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ

(١) الفوائد (ص ٨٤).

فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠] فإذا انشغل المؤمن بالحزن ضعف عن الطاعة، وفتر، وعاش مع الأوهام والخيال القاتل قال ابن القيم:" **والمقصود أن النبي ﷺ جعل الحزن مما يستعاذ منه. وذلك لأن الحزن يضعف القلب ويوهن العزم، ويضر الإرادة، ولا شيء أحب إلىٰ الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠] فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره** "[(١)].

وقال: "**لم يأت الحزن في القرآن إلا منهيا عنه، أو منفيا، فالمنهي عنه كقوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الحجر: ٨٨] في غير موضع، وقوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] والمنفي كقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ٣٨].**

وسر ذلك أن الحزن موقف غير مسير، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلىٰ الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره،

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٧٩).

ويوقفه عن سلوكه، قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١٠] ونهىٰ النبي ﷺ الثلاثة أن يتناجىٰ اثنان منهم دون الثالث، لأن ذلك يحزنه. فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود، ولا فيه فائدة، وقد استعاذ منه النبي ﷺ، فقال «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»[١] فهو قرين الهم "[٢].

وهكذا التخويف من المستقبل، سواء في المال أو النفس أو الأولاد؛ كأن يخوف من المستقبل في نجاح حياته أو حياة أولاده، وهكذا ...

وهذا كله من وسوسة الشيطان ومكره قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨] هذا وعد الشيطان والآخر وعد الرحمن، وأهل الإيمان إلىٰ وعد الرحمن أقرب، بل به مصدقون موقنون فلا يخشون الفقر ولا غيره، وما أحسن ما ثبت عن ابن

(١) صحيح البخاري (٢٨٩٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٠٠).

مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ قال: "**إن للملك لمة، وللشيطان لمة، فلمة الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق؛ فمن وجدها فليحمد الله. ولمة الشيطان إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق؛ فمن وجدها فليستعذ بالله**"[(١)].

واللمة: هي القرب من الشيء، فللشيطان قرب وللملك قرب، وإذا قرب الشيطان أوقع في القلب فعل الشر والعزم عليه، وإذا قرب الملك أوقع في القلب فعل الخير والعزم عليه[(٢)].

فالتخويف من المستقبل الذي يضعف عن الطاعة وهو من لمة الشيطان فليستعذ بالله منها، وليقبل علىٰ الرحمن مع إحسان الظن بربه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وتفويض الأمر كله له.

---

(١) أخرجة عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٧٣) والطبري في تفسيره (٥/ ٥٧٢) وقد صوب الرازيان وقفه (٥/ ٦٣٧)، وجاء موقوفًا من طرق وله حكم الرفع.

(٢) قال النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٧٣):"الهمة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطرات الخير، فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر، فهو من الشيطان"

وبعد هذا،

إننا نعيش في زمن كَثُر تعلق الناس فيه بالدنيا، وعَظُمَ تنافسهم علىٰ المال والكماليات والمظاهر الزائفات، وكَثُرَ من يشتكي وينوح، فمنهم من يشتكي من قِلة المال وفَرْضِ الضرائبِ والمكوس، ومنهم من يشتكي تجارته، ومنهم من يشتكي صحته، ومنهم من يشتكي أولاده، إلىٰ غير ذلك، وإذا خُوطب بعض الناس بأن مثل هذا يُعالج بالطرق الشرعية وغيرها، وذكرت له بعض الأمثلة من الماضين، قال: زماننا يختلف عما مضىٰ من الأزمان.

والواقع أن زماننا كغيره، وكما قال القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيبٌ سوانا

إن من قرأ -ولو قليلًا- في كتب التاريخ واسترجع ما عليه الماضون من الآباء والأسلاف ومن سبقهم، وجدَ الناس هُم هُم، وإنما ظفَرَ بالنوال وفاز بأحسن الأحوال من اتقىٰ الله ذا الجلال، وما عدا ذلك فكل الناس في كل الأزمان مع ضعف

الدين يشتكون دنياهم، فمنهم من يشتكي قلة الأموال ومنهم من يشتكي ضعف الصحة، ومنهم من يشتكي عقوق الأبناء ...إلخ.

لذلك الحل في مثل هذا أن ننظر إلىٰ هذه الأمور بالنظرة الشرعية، والذي يُشتكىٰ منه في هذا الزمن هو موجود عند من قبلنا، بل إن كثيرًا من الناس في هذا الزمن مع ضعف حاله هو خيرٌ من كثير من الناس في الزمن الماضي مع توسط حاله، فقد انفتح للناس -من حيث الجملة- أبواب رزق وتيسّرت لهم نعم ما كان يعرفها كثير من أغنياء الزمان الماضي، بل لو قيل كل أغنياء الزمن الماضي لصحَّ.

ينبغي أن ننظر إلىٰ هذا الأمر من جهات:

الجهة الأولى: أن هذا بلاء من الله سبحانه وله حكمه وفوائده وهو من صور الاختبار الذي خلقنا من أجله، تأمّل قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٣-١٥٧].

إذن نقص الأموال صورة من صور البلاء، ونحن ما وُجدنا في هذه الدنيا إلا للابتلاء والامتحان، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ

ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧] وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢] وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] فنحن في حال ابتلاء وامتحان.

وروىٰ الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[1].

فما ترىٰ من تغيُّر الأحوال ووجود فقيرٍ وغنيٍّ، هذا كله من الابتلاء، وواجبنا تجاه الابتلاء الصبر، لذا ذكر الله سبحانه الابتلاء بنقص الأموال وغيرها ثم ذكر الصبر - كما تقدم ذكر الآية - وليُعلم أن الصبر واجبٌ بإجماع أهل العلم، حكاه ابن

(١) صحيح مسلم (٢٧٤٢).

تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] وابن القيم[٢]، وغيرهما من أهل العلم، وقد جاءت الأدلة الكثيرة في الأمر بالصبر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

ومن فضل الصبر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وعلق البخاري عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **"وجدنا خير عيشنا بالصبر"**[٣]. والأدلة كثيرة في وجوب الصبر وفضله.

والأفضل أن ننتقل من درجة الصبر إلىٰ درجة أعلىٰ وهي الرضىٰ، فإن الرضىٰ مستحب علىٰ أصح قولي أهل العلم، وهو عبادة عظيمة، وأعلىٰ من الرضىٰ الشكر، ذكر هذا ابن تيمية في

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ (٥ / ٣٥٩)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٣٦).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ١٥١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله.

كتابه (الفرقان)[١] والفرق بين الصبر والرضىٰ أمرٌ قلبيٌّ، فيجتمع الرضىٰ والصبر في ترك التسخُّط؛ لأن التسخط محرم ومنافٍ للصبر، إلا أن الصبر يقف عند هذا الحد، أما الرضىٰ يزداد بأن ترضىٰ عن الله ربًا وعن الإسلام دينًا، وعن محمد ﷺ نبيًا، فترضىٰ بهذه الأقدار وتستشعر أن الله قد قدَّرها فيمتلئ قلبك رضًىٰ بها، وليس معنىٰ الرضىٰ عدم تمني زوال الألم والمصيبة، بل هو أمر قلبي فيه معنىٰ الرضىٰ الذي دلَّ عليه لفظه، فإن خير الراضين أنبياء الله، ومع ذلك تمنوا تغير حالهم من المصائب، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢].

وأعلىٰ من الرضىٰ الشكر، فلا تقف عند درجة الرضىٰ، بل تزداد عبادةً لله وتشكر الله علىٰ المصيبة، لأنه قد امتلأ قلبك يقينًا أن هذه المصيبة خير، فتشكر الله عليها.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص ١٣٦).

(٢) مدارج السالكين (٢ / ١٦٠).

أسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلا أن يجعلني وإياكم من الشاكرين.

الجهة الثانية: أن ننظر إلىٰ هذه المصائب بنظر العقل، بأن نعلم أنه لا فائدة من الشكاية، والله لو كان في الشكوىٰ والتسخط تغيَّر الحال، لكان في الشكاية فائدة، أما والأمر علىٰ خلاف ذلك وأنه مهما اشتكيت فإن الحال هيَ هيَ، بل قد تزيدك الشكوىٰ ضعفًا وحزنًا، فيكون للشيطان مدخل من هذا الباب، لا سيما والحزن مذمومٌ شرعًا وهو من الشيطان، والشريعة لا تدعو للحزن كما بيَّن هذا شيخ الإسلام ابن تيمية[1]، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المجادلة: ١٠]. -وسبق الكلام علىٰ الحزن-

فلا فائدة من الشكوىٰ والنوح والتسخط، والعاقل لا يركن إلىٰ ما لا ينفع، فكيف وهو ضارٌ في الدين والبدن، بل وسبب لعدم الجد والاجتهاد في فعل الأسباب؟

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠ / ١٦).

الجهة الثالثة: أن من رحمة الله وحكمته أن يُضيِّق علىٰ عباده وأن يُقسِّمهم ما بين غني وفقير، وتأمَّل آيات سورة الزخرف وكيف أن الله أشار إلىٰ هذا المعنىٰ، قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٦].

فيقول ربنا: لولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعل الكافرين أغنياء وجعل المسلمين فقراء، لكن الله لرحمته لم يجعل ذلك، فتأمل كيف أن الله يُخبرنا بحقارة الدنيا عنده وحقارة الغنىٰ -إلا ما استُعمل في طاعته- أنه كان سيجعل الكافرين أغنياء دون المسلمين، لكنه لم يفعل ذلك حتىٰ يبقىٰ الناس كافرين مغترين بالدنيا.

فلنستشعر أمثال هذه المعاني العظيمة، ولنُراجع أنفسنا، ولنعلم أن الله يقدر لكل أحد ما يناسبه وهو أعلم به من حاله

ونفسه، فإن مما يُؤلم أن أقوامًا خيَّرين قد تركوا الإقبال علىٰ الآخرة، وتركوا تحصيل العلم الشرعي، وتركوا التعبُّد وصاروا يُنافسون الناس في دنياهم ويُسابقونهم، ولم يقفوا عند هذا الحد، بل ضعفوا في تديُّنهم، ومنهم من قصَّر وترك الواجبات، ومنهم من قصَّر وفعل المحرمات، ومنهم من أصبح ليله ونهاره في شكاية هذه الدنيا وتغير الحال بالنسبة إليه، وكل هذا تقصير كما تقدم ذكره.

موقف المسلم من المال

قد خلق الله المال لحِكمٍ عظيمة، والمال من جملة الدنيا، وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية[١] وابن الجوزي[٢] وابن رجب[٣] أن الشريعة لم تأتِ بذم الدنيا ولا بذم المال مطلقًا، وقد ذكر ابن تيمية في ثنايا كلامٍ له، قال: وإنما الذين يذمون الدنيا مطلقًا كثيرٌ من العوام، ولا يذمونها لفوات طاعة الله وإنما لفوات حظهم منها.

وبيَّن ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر)[٤] أن كثيرًا من

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٠ / ١٤٧-١٤٨).

(٢) صيد الخاطر (ص ٢٢٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٦).

(٤) صيد الخاطر (ص ٤٨٣).

المتصوفة والجهّال ذمّوا الدنيا مطلقًا، وهذا لم تأت به الشريعة، وإنما المذموم من المال والدنيا ما صرَفَ العبد عن طاعة الله، لذا في المقابل ما استُعمل في طاعة الله فإنه محمود.

فإذن ليس الغنىٰ محمودًا مطلقًا ولا مذمومًا مطلقًا، وكذلك الفقر، وإنما كلٌ بحسب حاله، فمن استعمل حاله في طاعة الله فهو محمود، ومن لم يكن كذلك فهو مذموم، فإن من الأنبياء من كان ذا مال، قال ابن الجوزي: كان إبراهيم -عليه السلام- كثير المواشي، حتىٰ امتلأت المدينة بمواشيه. وذكر أن داود -عليه السلام- كان غنيًا. ولا يخفىٰ قصة سليمان -عليه السلام- وهو ملك وقد أوتي من الدنيا ما أوتي[1].

وذكر ابن الجوزي في ثنايا كلامه أن كثيرًا من الأنبياء كانوا أغنياء، ثم ذكر في كتابه (صيد الخاطر) أن سعيد بن المسيب كان ذا تجارة ويبيع الزيت، وكان سفيان الثوري أيضًا ذا تجارة، وكذلك ابن المبارك، فقال ابن الجوزي: ليس المذموم هو

(١) صيد الخاطر (ص ١٦٧).

تحصيل المال، وإنما المذموم ما يتعلق بتحصيل المال، إما أن يُحصله بطريق غير شرعي، أو ينشغل به عن طاعة الله، أو ألا يوجد عنده نية حسنة عند تحصيل المال، أو ألا يستعمل المال في طاعة الله[١].

روىٰ البخاري ومسلم عن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سأل النبي ﷺ مالًا فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم سأله، فقال: «**يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع** ...» الحديث[٢].

فينبغي أن نكون وسطًا في المال وفي الدنيا، فلا يصح أن نذم المال والدنيا مطلقًا ولا في المقابل نتعلق بالدنيا وندخلها في قلوبنا، وإنما نتعامل مع الجميع بطاعة الله، فما استُعمل منه في طاعة الله فهو محمود، وما كان علىٰ خلاف ذلك فهو مذموم فكلٌّ بحسبه.

---

(١) صيد الخاطر (ص ٢٢٢).

(٢) صحيح البخاري (١٤٢٧) (٢٧٥٠) (٣١٤٣) (٦٤٤١) مسلم (١٠٣٤) (١٠٣٥).

وعلينا أيضًا ألا نكسل في تحصيل المال إذا لم يُخالف شرع الله، وفي المقابل لا يصح لنا أن تتعلق قلوبنا به، وأن يصبح القلب متعلقًا بالمال، فتعلق القلب بالمال عبودية له، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] لما ذكر حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم ...**»[٢]، قال: "وجه العبودية فيه أن من علَّق قلبه بغير الله حبًا وسخطًا فقد صار عبدًا له".

فلنكن وسطًا في أمر المال، لا نكون محاربين له ومزهّدين فيه مطلقًا، فإن هذا خطأ؛ لأن المال نافع للمؤمن كما ثبت عند الإمام أحمد عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**نعم المال الصالح للمؤمن الصالح**»[٣]، وفي المقابل ألا تتعلق قلوبنا به، ولا نجعله مقصودًا في ذاته وفي تحصيله، وإنما نجعل

---

(١) العبودية (ص ٩٢).

(٢) صحيح البخاري (٦٤٣٥).

(٣) رواه أحمد (١٧٨٠٣)، وابن أبي شيبة (٢٢١٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٩).

لنا فيه نية، وقد ذكر ابن تيمية أن كثيرًا من الصحابة كان ذا مال، وأن جمع المال في مثل هذا ليس مذمومًا، وإنما المذموم هو أن يتعلق القلب بالمال، وهذا المال الذي كان عند الصحابة لم يدخل قلوبهم وإنما كان في أيديهم، أما كثير ممن بعدهم فقد دخل المال قلوبهم، لذا كثُر الحرص عندهم[١]، قال ابن القيم: **" والأصل هو قطع علائق الباطن، فمتىٰ قطعها لم تضره علائق الظاهر، فمتىٰ كان المال في يدك وليس في قلبك لم يضرك ولو كثر، ومتىٰ كان في قلبك ضرك ولو لم يكن في يدك منه شيء.**

قيل للإمام أحمد: أيكون الرجل زاهدا، ومعه ألف دينار؟ قال: نعم علىٰ شريطة ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت، ولهذا كان الصحابة أزهد الأمة مع ما بأيديهم من الأموال. وقيل لسفيان الثوري: أيكون ذو المال زاهدا؟ قال: نعم إن كان إذا زيد في ماله شكر، وإن نقص شكر وصبر"[٢].

---

(١) الإيمان الأوسط (ص ٦٤٥).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٦٣).

ثبت عند الترمذي عن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء علىٰ المال والشرف لدينه**»[١]. فالمذموم هو الحرص، فينبغي أن نكون وسطًا بلا إفراط ولا تفريط، فنسعىٰ في جمع المال بالطرق المباحة، وأن يكون لنا نية في ذلك، وألا يدخل المال قلوبنا، ومقتضىٰ ذلك ألا تنشغل قلوبنا به، وألا يكون هم أحدنا عند قيامه وذهابه وإيابه واستيقاظه من نومه وصباحه ومسائه التفكر في هذا المال، وفي الرسوم والضرائب، وتغيّر الأحوال ...إلخ، وإنما يسعىٰ بفعل ما بيده مع الموازنة بلا إفراط ولا تفريط، وألا يضيع عبادة من علم وغير ذلك، بل يحاول أن يجمع بينهما كما جمع بينهما من سبق.

ومن لطيف ما ذكر ابن الجوزي أنه قال: قد جمع بين العلم والمال طائفة. -يريد بذلك أنهم جمعوا بين تحصيل الرزق وتحصيل العلم-، وليس عذرًا لطالب العلم أن يدع تحصيل الرزق لأجل العلم، بل يجمع بينهما كما فعل ذلك سعيد بن

---

(١) سنن الترمذي (٢٣٧٦).

المسيب والثوري وابن المبارك[١].

ثم قال ابن الجوزي: أما الإمام أحمد وبشر الحافي، فكان لهما قوة في الصبر علىٰ قلة المال، ولم يكن هذا مؤذيًا لهما، فمن كان حاله كحالهما فليفعل فعلهما، ومن لم يكن حاله كحالهما فليفعل كما فعل آخرون من السلف كسعيد بن المسيب وغيره[٢].

فكلٌ منا ينظر لحال نفسه، ولا يُحمِّل نفسه ما لا تطيق، وفي المقابل لا يُبالغ في إعطاء نفسه من ملذات الدنيا، فنكون وسطًا بلا إفراط ولا تفريط، وذكرت هذا تأكيدًا لما تقدم ذكره من أن طائفة من إخواننا أصبحوا مقصرين في التعبُّد وتحصيل العلم، بل أصبحوا مجالسين لكثير من البطّالين وأهل الدنيا، فملأوا قلوبهم حبًا للدنيا وأفسدوها بسبب الحاجة إلىٰ المال.

وقد دعت الشريعة للتقلل من الدنيا، كما روىٰ البخاري عن

(١) صيد الخاطر (ص ٥٥)، (ص ٢٢٢).

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٩).

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ أنه قال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[١]، وروىٰ مسلمٌ عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ مر بالسوق، داخلا من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟**» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم؟**» قالوا: والله لو كان حيا، كان عيبا فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: «**فوالله للدنيا أهون علىٰ الله، من هذا عليكم**»[٢]، ذكر هذا ابن الملقن في شرح الأربعين النووية[٣].

وقد اختلف أهل العلم[٤]: أيهما أفضل: أن يسعىٰ العبد إلىٰ تحصيل الدنيا والمال لإنفاقه في سبيل الله، أو ألا يسعىٰ إلىٰ ما زاد علىٰ كفايته؟ ذهب إلىٰ القول الأول إبراهيم النخعي، وإلىٰ

---

(١) صحيح البخاري (٦٤١٦).

(٢) صحيح مسلم (٢٩٥٧).

(٣) المعين علىٰ تفهم الأربعين (ص٣٦٧).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٦).

القول الثاني الحسن.

والأظهر -والله أعلم- أن الأفضل من حيث الأصل السعي والتكسب ليصل رحمه، وينفق ويتصدق، وذلك لأمرين:

الأول: أن هذا فعل جماعةٍ من الصحابة، كأبي بكر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

الثاني: أن في هذا نَفْعًا متعديًا.

لكن قد ينتقل عن هذا الأصل لعارضٍ، كأن يكون في سعيه لتحصيل المال تفويت لما هو أفضل، من طلب علم أو غيره، أو من تعلُّق قلبه بالدنيا، والمطلوب ألا يكون كذلك، فمثل هذا يكتفي بتحصيل ما يحتاج إليه لما تقدم ذكره من العوارض -والله أعلم-.

ومما ينبغي أن يعلم أن غالب الناس إذا اشتغل بجمع المال تعلَّق قلبه به، وقلَّ من يسلم من ذلك، وقد سئل الإمام أحمد: من الزاهد؟ قال: من إذا زاد ماله أو نقص لا يبالي بذلك[1].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦٣).

من أسباب عدم التعلق بالدنيا والمال التعلق المذموم أمور، منها:

الأمر الأول: التوحيد، فالتوحيد سبب لكل خير في الدنيا والآخرة، ومقتضىٰ التوحيد أن تجمع بين فعل الأسباب مع الإيمان بالقضاء والقدر، وألا تُبالغ في الأسباب، وأن تجعل الآخرة همك ومقصدك، وأن تجعل الدنيا وسيلة إليها وأن تستعملها فيما يُرضي ربك الذي لا إله إلا هو سبحانه وتعالىٰ.

الأمر الثاني: الدعاء، وهو مفتاح كل خير، أتدري ما معنىٰ الدعاء؟ الدعاء هو سؤال من يأمر الناس بسؤاله، وهو سبحانه الذي بيده كل شيء، لذا يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦] فهو سبحانه يأمرنا بدعائه ويفرح به وكان النبي ﷺ ملازمًا للدعاء أخرج مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علىٰ طاعتك**»[1]، فلنقبل علىٰ الله بالدعاء بأن يُغنينا

(١) صحيح مسلم (٢٦٥٤).

غنًا لا يُشغلنا بل فيه رضًىٰ له سبحانه، وأن يُثبتنا علىٰ التوحيد والسنة والجد والاجتهاد في العلم وعبادة الله.

الأمر الثالث: مجالسة طلاب العلم وأهل الخير الذين يُذكرون بالآخرة، وعدم مجالسة أصحاب الدنيا إلا للحاجة، فإن من الملحوظ أن أكثر ما يُفسد الرجل مجالسته لأهل الدنيا؛ لأنه إذا جالسهم ملأوا قلبه بحب الدنيا فقالوا له: فلان حصّل كذا وأنت لم تُحصّل. أو أن وضعك خطير ولابد أن تجتهد لمجاوزة ما أنت فيه ...إلخ.

والله إن بعض إخواننا غافلٌ عن الدنيا في لباسه ومركبه وذهابه وإيابه، ثم إذا جالس أمثال هؤلاء لفتوا انتباهه لأمثال هذه الأمور فبدأ يفكر فيها، وبدأ يُوسّع نظره ويتعلق بها فيُفسدون عليه قلبه، لذلك احرص علىٰ مجالسة الصالحين من أهل الخير الذين يُذكرونك بالآخرة ويُعينونك علىٰ الخير، قال الله لمحمد ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا

نُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣].

ثم أصدقكم إنه ينبغي أن ننتقي من الخيرين، فإن من أهل الخير من هو مفتون أو يُجالس المفتونين فأُصيب بمرض الفتنة وحب الدنيا وزخرفها فينقل هذا إليك، فكن حذرًا حتىٰ من بعض الخيرين، فإذا رأيت بعض أصحابك الصالحين عندهم تتبع للدنيا فناصحهم فإن استجابوا منك فالحمد لله، وإن لم يستجيبوا فدعهم وابحث عن الخيرين الذين لا يُعلقونك بالدنيا.

وأحيانًا تكون الفتنة من أحب الناس إليك -وهم الوالدان والزوجة والولد-، فيذكرون هذا محبةً لك وشفقةً لا عداوة وإنما جهلًا، فاحذر أن يضرك مقرّبوك ومحبوك بمثل هذا.

قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ

عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] فلنكن حذرين من مجالسة أصحاب الدنيا إلا من له حق علينا وللحاجة قال ابن القيم: **"والضابط النافع في أمر الخلطة أن يخالط الناس في الخير كالجمعة والجماعة، والأعياد والحج، وتعلم العلم، والجهاد، والنصيحة ويعتزلهم في الشر، وفضول المباحات"**(١).

الأمر الرابع: أخذ العبرة مما مضىٰ، فإن الله أمرنا بأخذ العبرة: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١] وروىٰ مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: **"السعيد من وُعظ بغيره"**(٢).

انظر إلىٰ من حصّل الدنيا وأهمل العلم والعبادة والطاعة أو قصّر فيها، ما الذي استفاد؟ مات ولم يستفد شيئًا، وذهبت عليه

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٣).

(٢) صحيح مسلم (٢٦٤٥).

أموره كلها، إن كانت حلالًا ولم ينوِ فيها خيرًا فهي ليست له ولا عليه، وإن كانت حرامًا فهي عليه واستفاد من هذا المال الورثة، فأصبح هو والفقراء سواء، كلاهما وُضع في قبره، وكأن صاحب المال لم يكن ذا مال يومًا ما، فلذا خذ العبرة ممن مضىٰ، وضرب الله لنا أمثلة بأقوام كانوا أهل خير ثم فُتنوا لنعتبر بهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] كيف أن هذا الرجل كان صاحب علم ثم فُتن بالدنيا -عافاني الله وإياكم-.

الأمر الخامس: تذكُّر حقيقة الدنيا ولا أعرف بها من خالقها، قال سبحانه ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]

قال معروف الكرخي: " **إنما الدنيا قدر يغلي وكنيف يرمي** "[1]، ومن خاضها وصارعها أهلكته قال أبو سليمان الداراني:" من

(١) حلية الأولياء (٨/ ٣٦١).

صارع الدنيا صرعته "[١]، وقال سلمة بن دينار:" **ما مضىٰ من الدنيا فحلم وما بقي فأماني "**[٢].

وإذا كانت لذاتها مباحة فهي وقتية، قال عبيد بن عمير: "**الدنيا أمد، والآخرة أبد**"[٣].

وغاية ما في لذاتها أنها دفع ألام قال ابن الجوزي يقول: غاية ما في الدنيا من لذات: دفع الألم، فإن كانت محرمة جاء بعدها الحسرة والندامة والإثم. وقال ابن الوردي في لاميته:

إن أهنـــأ عيشـــة قضِّـــيتها ذهبـت لـذاتها والإثـم حـلّ

لكن تأمُّل لذة العلم وانشراح الصدر به وكم فيه من الرفعة في الدنيا والآخرة، وكم فيه من الفوز برضوان الله، وكم فيه من الاشتغال بطاعة الله، وكم هو سبب لتجنيد أقوام لحماية الشريعة

---

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٢٧٤).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٢٣٨).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٣٧٣).

والذود عن حياضها التي خُلقنا من أجلها، إلىٰ غير ذلك من المعاني، انظر فيمن مضىٰ من العلماء قبل عشرين وأربعين سنة، مضىٰ تجار ومضىٰ علماء، من الذين بقيت سيرتهم؟ هم العلماء، فلا زال الناس يُرددون: قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهكذا... أما هؤلاء التجار فنُسي ذكرهم، وإنما يذكرهم الناس -إن ذكروهم- من باب العبرة.

الأمر السادس: تصغير العين؛ فمن صغرت عينه عن الدنيا والنظر فيما عند الناس عظم في نفسه ما عنده من النعم قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]

قال داود الطائي:" **كانوا يكرهون فضول النظر** "[1]

ومن عظم ما عنده من النعم أنس وقنع وفرح وانشرح صدره سعادة وسرورًا.

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٦٠).

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلىٰ من أسفل منكم، ولا تنظروا إلىٰ من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[١] فاحرص علىٰ هذه المعاني العظيمة لتكن من الفائزين وعن الدنيا من الناجين.

الأمر السابع: الزهد عما في أيدي الناس والرئاسة، إن الاستغناء والتعفف عما في أيدي الناس خير عظيم وخلق جسيم أخرج الشيخان عن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: «**ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**»[٢]، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال الرسول ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ**»: أي غنىٰ النفس، وذكر ﷺ أن اليد العليا خيْرٌ من السفلىٰ، وذكر أن الصدقات أوساخ الناس... إلىٰ غير ذلك من الأحاديث.

فقد أمرت الشريعة بمجاهدة النفس علىٰ الزهد مما في أيدي الناس؛ لئلا يلتفت إليها بقلبه، ولا بيده، ولذلك فإن من يزهد

---

(١) مسلم (٢٩٦٣).

(٢) البخاري (١٤٢٧) (١٤٦٩) مسلم (١٠٥٣).

عما في أيدي الناس يُحبه الناس؛ وذلك أن النفوس مجبولةٌ علىٰ حبِّ المال، فمن سألهم المال كرهوه؛ لأنه يشاركهم فيما يحبون أو ينافسهم، ذكر هذا المعنىٰ ابن رجب[١] وغيره.

ومن أعظم الزهد: الزهد في الرئاسة، فللرئاسة صور كثيرة وهي أشمل من أن تكون في المناصب فمن صورها الحرص علىٰ أن يطاع إذا أمر، وأن يقدم في العلم والمجالس والكلام والرأي وهكذا... نقل الشاطبي عن بعض السلف، أنهم قالوا: " **إخراج الرئاسة من قلوب الصالحين أعظم من إزالة الجبال الرواسي** "[٢].

وقال سفيان: وإياك وحب الرياسة فإن من الناس من تكون

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٠٤) ومن لطيف ما نقل بعد ذكره لجملة من آثار السلف في ذلك: وما أحسن قول بعض السلف في وصف الدنيا وأهلها:

وَمَـا هِـيَ إِلَّا جِيفَـةٌ مُسْتَحْيِلَـةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهُنَّ اجْتِذَابُهَا

فَإِنْ تَجْتَنِبْهَا كُنْتَ سِلْمًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَذِبْهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٥٨).

الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة[١].

وقد بيَّن الله أن سبب دخول النار يرجع إلىٰ المال والرئاسة، قال سبحانه: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾، وقال سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

الأمر الثامن: كثرة ذكر الله وقراءة القرآن بتدبُّر، إن أفضل الذكر مطلقًا هو القرآن بالإجماع، حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، فأفضل ذكر يُتقرب به إلىٰ الله هو قراءة القرآن، لأنه كلام الله سبحانه.

ثم من أراد الأكمل فليجعل له وردًا من كتاب الله، يُداوم عليه ويُجاهد نفسه علىٰ قراءته، وليجعل له وردًا من الذكر يُداوم عليه ويُجاهد نفسه علىٰ ملازمته، فقد ثبت عند ابن سعد عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يُسبح الله في كل يوم ثنتي عشرة ألف تسبيحة، فقد جعله وردًا يُداوم عليه.

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/ ٨٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٩ / ١٢٠).

ونحن إذا لم نجعل لنا وردًا فلن نستطيع إكثار الذكر، ولن نستطيع مجاهدة هذه النفس الأمارة بالسوء إلا بأن نجعل لنا وردًا نُجاهد النفس علىٰ إتمامه، وأحسن ما يكون هو أن يُسعىٰ للقيام بهذا الورد في أول النهار، فإن في أول النهار بركة، وهو أقل انشغالًا مما سواه، لذا إذا فرطت في وردك في أول النهار صعُب عليك بعدُ.

والمواظبة علىٰ ذكر الله من أعظم أسباب صلاح القلب، أخرج أبو نعيم في (الحلية) عن إبراهيم الخواص، أنه قال: **"دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين"**[1]. ومعنىٰ خلاء البطن: أي عدم الشبع، فإن الشبع مذموم، حتىٰ قيل لأحمد: أيجد رقة قلب من يشبع؟ قال: لا أظن.

الأمر التاسع: تذكُّر الموت، فتذكُّر الموت يُزهِّد في الدنيا، وهو سببٌ لقِصر الأمل، وفي مقابل ذلك يُحاول الشيطان أن يُطول الأمل، قال عز وجل: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣٢٧).

ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورٗا ﴾ [النساء: ١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

فالموت خير واعظ، والله يقول: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] وقال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أخرج مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[(١)]

والله إن تذكر الموت مفيد للغاية، فتذكَّر الموت قبل نومك،

---

(١) صحيح مسلم (٩٧٦).

وعندما تدعوك نفسك إلىٰ المعصية، أو للتعلق بهذه الدنيا، فإن تذكره مفيد في تزهيد العبد في الدنيا وتشجيعه وتحميسه لما يبقىٰ بعد الموت.

وقد سمىٰ العلماء الموت بالقيامة الصغرىٰ وقالوا: من مات فقد قامت قيامته. فتذكر الموت وما بعده يدعونا لأن نشتغل بما ينفعنا بعد الموت، ولما خُلقنا من أجله، وألا نغفل فإن الشيطان حريص علىٰ الأماني وطول الأمل فينشغل بالأماني عن طاعة الله.

أسأل الله أن يثبتني وإياكم علىٰ التوحيد والسنة، وأن نلقىٰ الله راضيًا عنا، وأن يجعلنا من أهل القناعة والزهد والورع، المقبلين عليه بما يرضيه، والمستعيذين به فأعاذهم سبحانه بكرمه من كل ما يُسخطه، إنه أرحم الراحمين.

السعر المخفض ٥ ريالات

الخوف من المستقبل

إعداد

د. عبدالعزيز بن رئيس الرئيس

المشرف العام على شبكة الإسلام العتيق